

مخاطر الثنائية المارونية – الدرزية (*)

* الدكتور نبيل خليفة – باحث ومحلل سياسي لبناني.

أخذ الخطاب السياسي في لبنان منحى تصعيديا على خلفية العلاقات اللبنانية – السورية، والوجود العسكري السوري في لبنان تحديدا. وجاء هذا التصعيد بعد صدور نداء بكركي (٢٠ / ٩ / ٢٠٠٠) عن مجلس المطارنة الموارنة برئاسة البطريك مار نصرالله بطرس صفير. فقد دعا النداء الى اعادة انتشار الجيش السوري في لبنان تمهيدا لانسحابه الكامل وذلك تطبيقا لوثيقة الوفاق الوطني (اتفاق الطائف). وكانت مداخلات في مجلس النواب إبان جلسات الثقة بحكومة الرئيس الحريري دعا فيها اكثر من نائب الى " اعادة التوضع " او الانسحاب التام من لبنان. وكان بين ابرز الداعين الى اعادة التوازن الى العلاقات اللبنانية – السورية، وليد جنبلاط (وهو ما رده امام مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في باريس) فصدرت اجراءات سورية بحقه (بروتوكول الدخول الى سوريا). وقام اكثر من طرف بزيارة دمشق لبحث هذه الموضوعات، ومجمل العلاقات بين البلدين، وربما لاقامة جسر حوار بين سوريا وبكركي. من ابرز هذه الشخصيات وزير الخارجية اللبناني السابق فؤاد بطرس. وكانت المبادرة الاخيرة على يد رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي زار بكركي ضيفا على البطريك واعلن من هناك ان سوريا شرعت منذ نيسان الماضي بتجميع قواتها وهي ستستكمل ذلك في وقت قريب. وردت مصادر سورية على ذلك بالنفي واعتبرت كلام الرئيس بري بانه مجرد " مبادرة شخصية " ارتكب فيها خطأين : " الاول كلامه عن استكمال اعادة الانتشار وهو موضوع رئاسي، والثاني تركه الانطباع بأنه مكلف من دمشق لاعلان ما أعلن وهو غير حاصل ". اما الرئيس بري فاكتفى بالقول : " اللهم اني قد بلغت " .

ومع ان العديد من الشخصيات اللبنانية دعا الى اعادة انتشار الجيش السوري في لبنان ومن ثم انسحابه نهائيا، فقد دهشت الاوساط للموقف القاسي بل التهديدي الذي وجه الى النائب وليد جنبلاط الذي دعا الى مجرد اعادة تموضع القوات السورية وبالتالي الى اعادة التوازن للعلاقات اللبنانية – السورية. لكن المدركين للمعاني الجيو – استراتيجية لموقف جنبلاط يعرفون تماما لماذا كان رد الاوساط السورية بهذه القسوة. انها المخاطر التي يشكلها قيام الثنائية المارونية – الدرزية. فوضع اليد على الكيان يمر اول ما يمر بطوائف الكيان وهما الموارنة والدروز. ان الجبل هو السلسلة الفقرية للكيان والموارنة والدروز هما طائفتا الكيان ونواته بامتياز. فإعادة الروح الى التحالف الماروني – الدرزي تعيد الروح الى الكيان.

لذا فإن قوة الطرح البطريركي – الجنبلاطي تركز على مقومات عدة :

- ١- إخراج سوريا بحيث تكشف اهدافها الحقيقية في لبنان.
 - ٢- الاستجابة لرأي عام لبناني ينسحب على القوى السياسية كافة.
 - ٣- انسحاب اسرائيل وبالتالي انتفاء الذريعة التي يمثلها وجودها في جنوب لبنان.
 - ٤- التشديد على ضرورة تطبيق وثيقة الوفاق الوطني (الطائف) خصوصا موضوع اعادة الانتشار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية.
 - ٥- مصداقية البطريرك نصر الله صفير وبخاصة في : مسألة تهميش الطائفة المارونية كمدخل الى تهميش بقية الطوائف – التزامه الشخصي باتفاق الطائف ورفض ان يكون شاهدا على " الخديعة " – دور البطريركية التاريخي بالمحافظة على لبنان سيد حر مستقل – طرح الصوت لمناسبة قيام قيادة جديدة شابة ومنفتحة في سوريا وقيام مجلس نيابي وحكومة جديدين في لبنان.
- هذا الخطاب الماروني – الدرزي اعتبر في نظر بعضهم (في سوريا) بمثابة ناقوس الخطر على الوجود السوري في لبنان، وازداد خطره بانضمام قوى اسلامية غير معلنة اليه. لذا كلن رد الفعل على مواقف جنبلاط "متشججا". فمن السهل تسويق نظرية " الانعزال الماروني " ولكن من الصعب تسويق نظرية " الانعزال اللبناني " بمختلف فئاته وطوائفه.
- يمكن القول، ومن دون مبالغة، ان العلاقات اللبنانية – السورية هي اليوم على المفترق. وهذا يعني انها ستكون امام خيارات اساسية وصعبة لدى الجانبين في هذا الاتجاه او ذلك، أي بوضوح: نحو مزيد من الحللة وبالتالي ارخاء القبضة السورية على الوضع اللبناني. واما نحو المزيد من التشدد وبالتالي تقوية القبضة على لبنان. ذلك ان المطروح، على عكس ما يتحدث به سياسيون لم يقرأوا يوما كتابا في الفكر السياسي وخصوصا حول مصير الدولة – الحاجز، هو الجواب على مسألة فلسفية يطرحها الوضع اللبناني (الدولة والكيان) وهي النظرة السورية الى لبنان في ذاته... ونظرة الآخرين ايضا. هذه النظرة هي التي ستحدد امرين اساسيين تركز عليهما كل الامور الباقية : الاول، هل ان لبنان في ذاته هو كيان سياسي كامل وله الحق بالحياة الحرة المستقلة باعتباره حقيقة جغرافية وتاريخية... والثاني، ام ان لبنان في ذاته هو جزء من كيان سياسي اشمل (سوري او عربي او اسلامي) وليس له الحق بالسيادة والاستقلال باعتباره خطأ جغرافيا وتاريخيا ؟.